حيز الكتابات الهيروغليفية قبل اكتشاف شمبليون لحجر رشيد؟ أم أن الرمزية قد قضى عليها كمذهب قائم بذاته له أنصاره ومدرسته ؟ إن كان الأخير فهذا أمر طبيعي وهو مآل كل مذهب قائم الآن . فالآداب والشعر تتغير بتغير المجتمع والبيئة في الأمة في عصورها المتعاقبة . وإنك لتشاهد الآن في انجلترا أن مذهب الرمانتيكية وكان من أعلامه شكسبير وملتون، وفي فرنسا هوجو ولامارتين، قد أخلى الطريق لغيره من المذاهب التي خلفته شأن مذهب الرمزية وكل مذهب أتى أو قائم أو سيأتي ...

ولكن لا ينكر أحد فضل الرومانتيكية في الأدبين الانجليزي والفرنسي وأنها كانت من العوامل المؤثرة في نشوء المذاهب التي أعقبتها . وهكذا فعلت الرمزية إذ أثرت فيما خلفها من المذاهب

بل إن مذهب السوفسطائيين في الفلسفة الذي ذكره الأستاذ في مقاله كان له أكبر الفضل في نشوء الفلسفة السقراطية وتلك الآراء والتعاليم القيمة التي ابتدعها سقراط وحمل لواءها أفلاطون من بعده؛ ثم كانت أساساً لتلميذه الفذ أرسطو . ولا يخفى أن من السوفسطائيين من كانوا يلمسون الحقيقة في بعض المواقف حيث يخطئها سقراط نفسه. « أنظر محاورة بروتاجوارس » بين سقراط وشيخ السوفسطائيين الذي سميت المحاورة باسمه

ولعلي في هذه الكلمة قد جلوت بعض نواحي الأشكال والغموض اللذين أثارهما مقال الأستاذ عزت الأخير؛ ولعله في مقالاته الآتية يتفضل بمراعاة التحديد وعدم الخلط بين المذاهب الفلسفية وآراء الفلاسفة وبين المذاهب في الآداب والشعر

« القاهرة » محمد فهمي

تحت الطبع :

حياة الرافعي

للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بعنوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

أسبوع في فلسطين

للأستاذ محمد سعيد العريان

تتمة ما نشر في العدد الماضي

لن أتحدث عن مشاهدات في هذه البلاد رأيتها بعيني ، فذلك شيء يستطيعه كل ذي عينين ؛ وفلسطين اليوم هي فلسطين التي رآها من قبلي عشرات من الكتاب والرحالين وتحدثوا عن مشاهدها وآثارها ومعالمها ؛ فهذا المسجد الأقصى ، وهذه قبة الصخرة ، وذاك مهد المسيح في بيت لحم ، وذلك — فيما يزعمون — مصعده ومسراه على الطور ، وهذا حائط البرق ، وذاك مصلى عمر ، وتلك كنيسة القيامة ... مشاهد كما وصف الواصفون وتحدث الرحالون وتغنى الشعراء ؛ فليس بي من حاجة إلى الاعادة والتكرار . ولكني سأتحدث عن المشاهدات الأخرى... مشاهدات رأيتها بفكري وسمعت صداها في نفسي، وتحدث معناها إلى قلبي ...

لقد أحسست أول ما هبطت هذه البلاد كأنما نضوت عن جسدي ثوباً كان يحتويني فأنا فيه غير من أنا : حسًّا ومعنًى وفكرة ؛ فما ألقيته عن جسدي حتى تواثبت نفسي منطلقةً على سجيتها في عالم غير محدود ، لا تعرفه ولا تنكره ، ولكنها فيه هي شيء غير ما كانت في هذا الثوب الذي يضم أطرافي منذ ثلاثين سنة أو يزيد ...

أمصري أنا ؟ لا ؛ إن وطني لأكبر من ذاك . إن لي أهلاً هنا وأهلاً هناك . إن تراث الأجيال ليتحرك في دمي الساعة فيذكرني مالم أكن أعرف. ما هذا ...؟ لكأن لي في كل مكان ذكرى قريبة وما رأته عيناي قبل أن تراه عيناي . إن قوة من وراء التاريخ تربطني إلى هذا المكان ، وتستوقفني عند ذاك الأثر، وتقف بي عند ذلك المتعطف ، وتذكرني بشيء في هذا الحي . إن هنا قبساً من روح أعرفها ترفّ حولي ، ونفحةً من عطر أتشمّمها تلامس روحي ، وإن لي هنا لخفقة قلب ، وإن لي هناك لدمعة عين ، وإنني لألتقي خواطر وذكريات لم تكن من خواطري وذكرياتي ؛ وإنني لأحس ... وإنني لأشعر ... فما أشك أن لي

تاريخاً قبل تاريخي في هذا المكان ، وأن لي ذكريات أبعدَ من ذكرياتي في هذا الحي ، وأن الماضي الذي كان قبل أن أكون ، هو إرث في دمي تحدّر إليّ في أصلاب أسلافي ذكرياتٍ غامضة لا تكاد تبين إلا خفقات في القلب وزفرات في الفؤاد ... !

أيها البلد الطيب ! أيتها الأرض المقدسة ! لقد عرفت بك أهلي ووطني وتاريخ قومي . لست من فرعون ولا فرعون مني . كفرت بالوطنية إن لم أومن بأني منكِ في أهلي ووطني ... !

يابلاد العربية والاسلام ، انشري لواءكِ وابعثي ماضيك حتى تنتظم رايتُك كلَّ مسلم وكل عربي !

ياأهل العربية والاسلام ، لستم من الوطنية في شيء حتى تؤمنوا أن وطنكم هو كل بلاد العربية والاسلام !

ياأهلي وإخواني على ضفاف النيل ، لقد عققتم إخوتكم عقوقاً غير جميل حين زعمتم أن أرومتكم غير الأرومة التي أنجبت عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبيدة بن الجراح !

يا أساتذة المدارس المصرية ، لقد ظلمتم التاريخ ظلما غير قليل حين ذهبتم تزعمون لنا منذ كنا أننا من سلالة خفرع ومينا وأمون !

وياقومي وعشيرتي هناك ، معذرة إليكم مما كان ، وعهداً عليّ أن أكون ، وإلى اللقاء ! إلى اللقاء تحت راية الاسلام ... !

* * *

هذا شاب من أدباء فلسطين يحدّثني عن مصر ، وعن أدباء مصر ، وعن السياسة في مصر ، وعن النشاط العلمي في مصر ، حديث العارف المتتبّع ، لا يفوته شيء مما يعرفه المصريون عن أنفسهم ؛ بل مما لا يعرفه المصريون أنفسهم ... فماذا يعرف المصريون عن فلسطين ؟

وهذه جرائد مصر ، ومجلات مصر ، ومطبوعات مصر ، تملأ السوق في فلسطين ؛ فهي في كل دار ، وفي يد كل قارىء . فماذا يقرأ المصريون من جرائد فلسطين ، وماذا يعرفون عن أدباء فلسطين ؟

« مصر زعيمة الشرق العربي ! »

هذه عبارة تسمعها بين كل اثنين يتحدثان عن مصر والأقطار العربية ؛ فهل عقلها من قالها ؟ وهل عَناها من تحدث بها ؟ ... أما هناك فَنَعم ؛ فما يقولها عربي في غير مصر إلا مؤمناً بها مستيقناً حقيقتها ؛ وأما هنا فهل تسمعها إلا في معرض الزهو والعُجْب والخيلاء ... ؟

مصر زعيمة الأقطار العربية ، ما في ذلك ريب ولا جدال . ولكنها زعامة الجاه والغنى والصيت البعيد ... زعامة ليس لها تكاليف ، وليس عليها واجبات ، وليس من ورائها مشقة ... زعامة الدعاوي الفارغة ، والتشدّق الكاذب ، ولغو الأحاديث ... وإلا فهل ذكرت مصر ما عليها للأقطار العربية حين سرّها أن يقول القائلون إن مصر زعيمة الأقطار العربية ؟

ومعذرة يا بلادي ! إنك لأهلٌ للزعامة والجاه والسلطان ولكن ... ولكنك لا تريدين أن تفرضي على نفسك ما تفرضه الزعامة على أهلها من مشقات وتكاليف . وهيهات هيهات أن تدوم الزعامة لزعيم لا يفرض على نفسه أن يبذل أكثر مما ينتفع ... وفي الحياة عبر وأمثال ...

* * *

وجلستُ في مجلس طائفة من الأدباء أستمع إلى أحاديثهم ومداولاتهم ، فإذا شباب هناك يسبقون الكهول عندنا في البحث والمطالعة والاستقراء ، وإذا علم وأدب واطلاع ، وإذا طرائق في البحث لا يعرفها إلا الأفذون من أدباء المصريين ... وسمعت أسماء كتب مصرية جديدة في السوق ، لم يعرفها بعدُ في مصر إلا مؤلفها والصفوةُ من أصحابه . ودار جدال حول معارك أدبية في جرائد مصر لم يكن مبلغ علمي بها إلا عنوانها وكاتبها ... وجرت مساولات ، وتداولت آراء ، وتنوعت أساليب الحديث ؛ وخرجتُ بالصمت عن لا ونَعم ، وطارت خواطري إلى مصر ، وإلى مجالس الأدباء في مصر ، وإلى حظ الأدب والأدباء في مصر ؛ وأطرقتُ من حياء ...

مصر زعيمة الأقطار العربية . نعم ، إن فيها لكُتاباً وأدباء وشعراء ، وإن فيها لجرائد وكتباً ومجلات ، وإن فيها لتعليما ومدارس وجامعتين ، وإن فيها لمطابعَ تخرج كل سنة مئات من الكتب في مختلف العلوم والفنون والآداب ، ولكن ... ولكن مصر ليس فيها قراء ...

مصر ! ... إن لمصر فضلا على العالم العربي لا ينكره جاحد ، ولكنه فضل المطبعة والجريدة والكتاب لا فضل المصريين ...

مصر ...! هل يعلم كتابها وشعراؤها ومؤلفوها أن كتبهم ودواوينهم ومؤلفاتهم أشهر وأذيع فى الأقطار العربية منها فى بلادهم ؟

رجاء إليكم أيها الكتاب والشعراء والمؤلفون : لا تسموها زعيمة الشرق العربى ، ولكن سموها « مطبعة » الشرق العربى !

* * *

ولا تجلسُ إلى عربىّ فى فلسطين إلا سمعت له حديثاً فى سياسة بلاده ، ورأياً فى سياسة بلاده ، وحماسةً فى الدفاع عن حق بلاده . وفى مصر (كانت) حركة وطنية ، وكان لها حدّةٌ وشدّة ، فما طفت فى يوم من أيامها على آراء المصريين ولا فرضت سلطانها على مجالسهم بمقدار ما شغلت الحركة الفلسطينية خواطر العرب فى فلسطين . وتسأل : لماذا ؟ فيجيبك قائلهم : « لقد كانت ثورتكم الوطنية فى مصر للاستقلال ، والاستقلال عندكم ترف سياسى ؛ ولكن ثورتنا الوطنية فى فلسطين للحياة . إن السياسة العامة فى فلسطين هى سياسة كل فرد فى أهله ، وفى دينه ، وفى ولده ، وفى حقله ، وفيما يملك ؛ إننا إن لم نكافح كفاح الموت فى هذه الثورة الوطنية ، فلن تجد منا غداً عربياً واحداً فى فلسطين ... ! »

وصدق القائل ؛ فما فى فلسطين اليوم ثورة وطنية كبعض ما نعرف من الثورات السياسية فى التاريخ ، ولكنه جهاد الأحياء للحياة ، كما يجاهدون للطعام والشراب ، فاما ظفروا فعاشوا فى بلادهم آمنين كما يعيش كل شعب فى بلاده ؛ وإما ... وإما كانت فلسطين هي الأندلس الثانية : لا يُذكر فيها اسم الله ولا ينطق فيها بكلمة التوحيد ... !

* * *

وحاولتُ أن أعرف فى فلسطين من حال المرأة العربية المسلمة التى سمعت بجهادها وبسالتها فيما تنقل جرائدنا من أخبار الثورة العربية فى فلسطين ؛ فاذا بينى وبينها حجاب ؛ فلا ترى فى الطريق واحدة منهن فى مثل حال أختها المصرية : تسير فى الطريق شبه عارية فى ثوب مهلهل إن لم يشفّ يصفْ ، ولكن وجوهٌ إلا يكن عليها حجاب فان فيها حياء... إلا وجوهَ الغواني من بنات صهيون ونساء المهاجرين

* * *

ومحطة الاذاعة فى فلسطين غيرها فى مصر ؛ فهى هناك مصلحة حكومية وهنا شركة يربطها بالحكومة عقد تجارىّ ؛ على أن أول ما تلاحظه من الفرق بين المحطتين هو عناية محطة فلسطين بالأدب والأدباء وإغفال شأنهما فى مصر ؛ فلولا محاضرة أو محاضرات يذيعها كل سنة من محطة القاهرة الأساتذة طه حسين والمازنى وهيكل والبشرى — ليس غير — لما درى السامع من بعيد أن فى مصر أدباً وأدباء . على أن أكثر ما تذيعه القاهرة من موضوعات الأدب بعيد عن مناسباته ؛ فما هو إلا إعلان عن كتاب، أو تعريف بانسان، أو حديث معاد، أو خطبة منبرية ذات مواعظ وأمثال ... أو فكاهة رخيصة ... وقلما يتنبه القائمون على تحضير برنامج الاذاعة فى محطة القاهرة ، إلى مناسبة من المناسبات الأدبية العامة ليجعلوا لها موضعها من البرنامج فى ميعاده ، إلا أن يتقدم إلى ذلك من يتقدم من الأدباء وفى يده موضوعه كأنه طالب إحسان !

وأحسب ذلك يرجع إلى سببين : أولهما أن الأدب فى مصر عامة ليس له سوق نافقة بحيث يغرى محطة القاهرة بالحرص على إرضاء مستمعيه . والثانى أنه ليس فى القائمين على شئون محطة القاهرة أديب متخصص له فى الأدب معرفة واطلاع يحملانه على أن يعدّ نفسه واحداً من الأسرة الأدبية فى مصر يحيث يعرف اتجاه الجماعة فى الأدب فيسير مع تطوراتها على نهج سواء

على أن الاذاعة اليوم هى وسيلة من أجدى الوسائل فى نشر الثقافة وتوجيه الرأى العام ؛ فما ينبغى أن يحملها انصراف جمهور المستمعين عن الأدب على إغفاله ؛ فإن لها من السلطان ما تستطيع به أن تحمل مستمعيها على العناية بالأدب والأدباء لو سارت على برنامج مرسوم إلى هدف مقصود . ثم إن مصر ليست هى وحدها التى تستمع إلى محطة القاهرة ، ولكن أقطاراً أخرى من أقطار العربية لها علينا من الحقوق الأدبية ما يحملنا على إرضاء مستمعيها وكلهم يرفعون الأدب أسمى مكان

وإذ ذكرت هذا فما ينبغى أن يفوتنى ذكر الشاعر الأديب الأستاذ إبراهيم طوقان وكيل القسم العربى فى محطة القدس ؛ فانه من خيرة شباب فلسطين ثقافة وأدباً وتحصيلا ، وله فى الأدب آثار باقية ؛ ومثله فى محطة القاهرة يمكن أن تتلافى هذا التقصير فى حق الأدب والأدباء

* * *

والمصريون فى فلسطين عدد غير قليل يعيشون فى أمن وسعة

ولهم فى القدس نادٍ جميل في حيّ عامر يتبعه مدرسة ليلية وفرقة كشافة . دعانى إلى زيارته سكرتيره الأستاذ عبد الفتاح لاشين المصري المدرس بكلية الروضة فى مساء الأربعاء ١١ مايو فذهبت إليه مع الأصدقاء الأساتذة عبد الرحمن الكيالى ، والشيخ يعقوب البخارى ، وداود حمدان ؛ فوجدت النادى مزيناً أبدع زينة احتفالا بالمولد النبوى ، وثمت شيوخ يقرءون قصة المولد ، والنادى مزدحم زاخر بالمصريين وضيوفهم من الفلسطينيين ، يستمعون إلى ترتيل القارئ فى خشوع وإيمان ؛ واستقبلتنا فرقة الكشافة على الباب استقبالا مصرياً كريماً . ثم ودّعنا أعضاء النادى بعد مجلس قصير ، بكثير من الحفاوة والاكرام

* * *

وكان آخر طوافى فى القدس ، فى القنصلية المصرية . وما أنكر أنه كان علىّ أن أجعل أوّل خُطاى إليها غداة مقدمى ، وقد كان ذلك فى نفسى ، لولا أننى كان لا بد لى من رفيق يرشدنى إلى الطريق ، وكان احتياجى إلى الرفيق هو الذى جعل زيارتى للقنصلية آخر طوافى ؛ فمعذرة إلى الأستاذ الأديب محمد حامد بك قنصل مصر فى فلسطين الذى جعل أول لقائه إياناً عتاباً كريماً كان له فى نفسى موقع جميل ، وكانت تحية صريحة لا تكلف فيها ولا رياء

زرت القنصلية فى مساء الأربعاء ١١ مايو ، فوافقنا الأستاذ مترى بك وكيل القنصل خارجاً لبعض شأنه ؛ فما رآنا حتى بدأنا بالتحية ، وتقدمنا عائداً إلى دار القنصلية ، فقضينا فى كرمه وقتاً ما ثم لم يلبث أن حضر القنصل ، فما درى بمقدمنا حتى صعد إلى غرفته محتجاً على أن جعلتُ زيارته آخر طوافى ؛ ثم عاوده كرم المصرى فأرسل يدعونا إليه ...

وكانت جلسة ممتعة ، شهدتُ فيها ما لم أكن أتوقع ، ولقيت ولقى أصحابى من عطف الأستاذ حامد بك وكرمه وأدبه ما أحرص على ذكراه كأجل ما شاهدت فى فلسطين

والأستاذ حامد بك أديب واسع الاطلاع على رغم منصبه السياسى ؛ وإنه لتوفيق عجيب أن يكون قنصلنا فى فلسطين العربية له مثل حظ الأستاذ حامد بك من الاطلاع فى الأدب وفى الثقافة العربية . ولقد عجبت — شهد الله — أن يبلغ هذا المبلغ فى الأدب مصرى من رجال السياسة ؛ وكان آخر ما يدور فى خاطرى حين هممت بزيارة القنصلية أن يكون لى هناك حديث فى الأدب وفى شئون الأدباء كالذى دار فى مجلس القنصل الأديب ...

وأكثر من يذكر الفلسطينيون من رجالات مصر الراحلين ، محمد عبده ، ورشيد رضا ، والرافعى ، ولهم فى نفوسهم منزلة من التقديس تضعهم فى صف الخالدين من أبطال العربية والاسلام

وأحب كتاب العربية إليهم أسرة الرسالة ، فهم يعرفون كتابها فرداً فرداً ، ويقرءون لها ما يكتبون بشوق ، وقلما تجد شاباً من شباب فلسطين لا يقرأ الرسالة ويحتفظ بمجموعاتها . وهم يعجبون أشد العجب حين يسمعون أن طائفة من شباب مصر لا يقرءون الرسالة ! وأحسب لو أن أملهم تحقق وصارت نسبة قراء الرسالة من المصريين تعدل نسبتهم فى فلسطين لكان على الرسالة أن تطبع من كل عدد مائة ألف فى الأسبوع ...

وأكثر من يذكرون من الكتاب المصريين هم الأساتذة أحمد أمين ، وعزام ، والمازنى ، والزيات ، وهيكل ؛ ولولا سابقة للدكتور هيكل فى الدعوة إلى الفرعونية لكان أحب الكتاب المعاصرين إلى أهل فلسطين ؛ فما يغيظهم شىء فيما تكتب الصحف المصرية ما تغيظهم هذه الدعوة ، وما يرونها إلا وسيلة إلى تمزيق الوحدة العربية التى يدعون إليها ويرشحون مصر لزعامتها ، وإلا سبباً إلى تقطيع الأواصر بين مصر وبلاد الاسلام

* * *

وركبت القطار عائداً من محطة اللّد ، بعد زيارة قصيرة للأخ الأديب الأستاذ داود حمدان ، ورياضة ممتعة فى سيارة الأستاذ النشاشيبى بين اللد وبيت المقدس

وتحرك بى القطار عائداً إلى مصر ظهر يوم الخميس ١٢ مايو ، فبلغت محطة القنطرة قبيل الغروب ... ومعى من الذكريات لهذه البلاد المقدسة أثمن ما يحرص عليه إنسان ...

أيتها الأرض الطيبة ! أيها الاخوان الكرام ! يا بنى قومى هناك ، وداعاً وداعاً إلى لقاء قريب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد سعيد العريان

الدكتور يوسف زكى

الحائز على الدكتوراه فى جراحة وطب الأسنان

من جامعات ألمانيا

أحدث الطرق الفنية فى العلاج بالكهرباء

العيادة: صيدناوى الفلكى . (باب اللوق)

عمارة باناجيا : تليفون ٤٤٧٥٢